المحتمع فى هذا العصر ، وشهدت شعراء القرن التالت يحملون معاول التجديد يهدمونها عمود الشعر العربى القديم ، ليقيموا على أنقاضه البناء التامخ لمدرسة البديع ، وشهدت المتنبى وأبا العلاء فى القرنين الرابع والخامس ، يرفعان القواعد من بناء فنى جديد ليتسع لما تقفاه من فلسفات عقلية ، وما انتهي من تراث عربى ، وما انتهيا إليه من آراء فى الحياة وما بعد الحياة ، وشهدت قبل ذلك وبعد ذلك حركات تجديدية مختلفة انتقلت معها الأرجوزة العربيه من دائرتها الشعبية القديمة التى كانت تدور فيها فى العصرين الجاهلى والإسلامى إلى دائرة جديدة أرسى تقاليدها رجاز العصر الأموى ، كما ظهرت على أيدى شعراء الأندلس ومصر الموشحات بأشكالها الهندسية الدقيقة، وطبيعتها الزخرفية الرائعة ، تعبيراً عن ذوق العصر والبيئة ومزاجهما الفنى، وغير الأراجيز والموشحات ظهرت صور أخرى كثيرة تدل على أن الشعر العربى عاش حيانه الطويلة متطوراً دائما متجددا أبداً .

ولكن الظاهرة التى تلفت النظر أن القصيدة العربية فى هذه الحركة الدائبة نحو التطور والتجديد لم تنفصل من ماضيها العريق ، ولم تبت خيالها من الميراث الفنى الضخم الذى خلفته الأجيال المتعاقبة من حملة المشاعل فى الطريق الفنى الطويل. وذلك لسبب بسيط ، وهو أن تراثنا الفنى تراث أصيل يضم فى أعماقه عناصر الخلود والبقاء ، ولولا ذلك لماعاشت القصيدة العربية فى صورتها التقليدية خمسة عشر قرنا من الزمان ، منذ أن ظهرت فى القرن الخامس الميلادى حتى اليوم ، صورة أصيلة خالدة مستعصية على الفناء .

فى ضوء هذه الحقيقة الثابتة لا أستطيع أن أتصور تجديداً فى الشعر العربى إلا على أساس من الاتصال بالتراث الفنى القديم ، والفهم الواعى لمقوماته الأصيلة والحس الدقيق بطبيعته الفنية ، والانتفاع الكامل بكل ما أثبتت الحياة أنه صالح للبقاء ، فى غير هدم للأصول أو تبديد للقيم ، وأظن أننا - بعد هذا - نستطيع أن نجيب على السؤال الذى طرح نفسه فى المقالة السابقة، وهو لماذا نكبت حركة الشعر الحر الطريق الصحيح للتجديد ؟